كتاب الفَرق للأصمعي وتراث الفرق في العربية

- عرض ومقارنة –

أ.عطاالله بوخيرة[1] – الجزائر

ملخص:

يحاول هذا البحث الموجز أن يعرض لتراث الفَرق في العربية وأبرز من ألف فيه، وكنموذج لأحد كتبه وهو كتاب الفرق للأصمعي نحاول من خلاله إيضاح الموضوع الذي تناوله، وإبراز أهم الخصائص التي ميزت الكتاب، والقيمة العلمية التي تضمنها. مع مقارنته بكتب الفرق الأخرى.

الكلمات المفتاحية:

كتب الفرق – الأصمعي – اللغة العربية.

Abstract:

Try this brochure to introduce the heritage difference in Arabic and the highlights who wrote it, as a model for one of his books, a book difference

(١) حاصل على ماجستير من جامعة قاصدي مرباح – ورقلة ٢٠١٣ في تخصص المعجمية العربية.
– طالب سنة ثالثة دكتوراه في نفس التخصص.
– باحث دائم بمركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية من تاريخ ٢٠١٤/٠٦/٢٦ إلى يومنا هذا.

for lasami an exercise in clarification of the topic addressed by the, highlighting the most important characteristics that differentiated the book, scientific value. En comparaison avec le livre différence des autres.

Key words:

Books the difference -a lasami – Arabic language.

مقدمة:

إنّ الفكرة العامة لهذا اللون من التأليف سواء أكان كتاب الفَرق للأصمعي أو غيره من كتب الفَرق الأخرى فهي تقوم بالأساس على ذكر تسمية عضو من أعضاء جسم الإنسان أو صفته، ثمّ ذكر ما يقابله من أعضاء البهائم والطيور والسّباع. فتحديد اختلاف مسمّيات أعضاء وأجزاء من بدن الإنسان وصفاته بينه وبين مختلف الحيوانات والبهائم نال من لدن علماء العربية قديمًا عناية بالغة منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، فأقدموا على التأليف في هذا النوع باسم الفَرق تارة وباسم ما خالف فيه الإنسان البهيمة تارة ومرة أخرى، وهذا النمط من المعاجم دوّن فيه مؤلفوه ألفاظًا ومفردات تكنى بها أعضاء مشتركة لطائفة من الحيوانات ذات الخصال والصفات الواحدة مثل ذات الأظلاف (الماعز، النعاج، الضأن) وذات الحافر مثل (الحصان، الفرس، الحمار) والسباع مثل (الأسد، الذئب، الكلب)، ويكون لكل عضو منها عند الحيوان الذي يحمله اسم خاص يفرقه عن مثله لدى الحيوانات والبهائم الأخرى، كما أوعوا فيه أيضًا أسماء صغار الحيوان، وأسماء أصواته، والجماعات التي ينضوي تحت لوائها ويسير في مواكبها، ولا تقف هذه الكتب عند ذكر أعضاء جسم الإنسان ووظائفه؛ بل تبحث حتى في حركات وتنقلات الكائن الحي.

انطلاقا مما سبق ما هو موضوع كتاب الفرق للأصمعي؟ وما أهميته

العلمية؟ وما هي أهم الخصائص التي تميز بها الكتاب؟ وما هي كتب الفرق الأخرى؟ ومن ألف فيها؟

١-الأصمعي:

هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمع ابن مُظَهِّر بن رباح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن «سعد»[١]، «بن تميم»[٢]، بن غَنْم بن قُتيبة بن مَعْن «بن مالك»[٣] بن أَعْصُر بن سعد بن «قيس بن عيلان»[٤]، «بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان»[٥]، وقد أضافت بعض المصادر الباهلي نسبة إلى قبيلة باهلة مع أنّ الأصمعي ينفي ذلك بقوله: «لست من باهلة؛ لأن قتيبة ابن معدّ لم تلده باهلة

(١) الوزير جمال الدّين أبو الحسن علي بن يوسف القِفْطيّ: إنباه الرّواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت،ط١، ١٩٨٦م، ص١٩٨.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢ (د.ت) ص١٦٧.

(٣) جاء في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (بن خالد) عوض (بن مالك) ص١٦٧.

(٤) جاء في إنباه الرواة ص١٩٨، ووفيات الأعيان ص ١٧٠ (قيس عيلان)، وجاء في بغية الوعاة للسيوطي ص١١٢ والطبقات للزبيدي ص ١٦٧والأنساب للسمعاني ص٢٩٣ (قيس بن عيلان).

(٥) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٩م.ج٢، ص١١٢.

قط»[١]. «ولد سنة ١٢٣هـ بالبصرة»[٢].

نشأ الأصمعي على طلب العلم منذ صغره يتنقل في مسجد البصرة من حلقة إلى أخرى، ويلوذ بأبي عمر بن العلاء أستاذه طلبًا للمشورة والتحصيل العلمي حتى صار للأصمعي كما «قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:... يد غرّاء في اللغة لا يعرف فيها مثله وفي كثرة الرواية..»[٣]. وكان العلماء الأجلاّء يعدّونه بمثابة من انتهى إليهم علم اللغة. يقول أبو الطيب اللغوي: «كان في العصر العباسي الأول ثلاثة هم أئمة الناس في اللغة والأدب وأخبار العرب، لم ير الناس قبلهم ولا بعدهم مثلهم، وعنهم أخذ جلّ ما في أيدي الناس من هذه العلوم بل كلّها، وهم أبو زيد الأنصاري والأصمعي وأبو عبيدة»[٤]. فهو شخص الأدب ماثلًا ولسان العلم قائلًا.

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة، ط٥ (د.ت) ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف القاهرة ط٤ (د.ت) ص٥٤٤.

(٣) أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، قام بتحقيقه: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الأردن، ط٣، ١٩٨٥م، ص٩١.

(٤) رحاب عكاوي: الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة، دار الفكر العربي بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ص٦٩.

«توفي بالبصرة سنة (٢١٣هـ)، ويقال أيضًا أنه مات في سنة سبع عشرة ومائتين (٢١٧هـ)»[١] .

مؤلفاته: كتاب خلق الإنسان- كتاب الأجناس- كتاب الصفات- كتاب خلق الفرس- كتاب الشّاء- كتاب الأخبية- كتاب الأمثال- كتاب السلاح- كتاب النوادر- كتاب جزيرة العرب- كتاب المصادر- كتاب النبات- كتاب الأنواء- كتاب الهمز- كتاب الأبواب - كتاب الخيل- - كتاب الوحوش- كتاب الأضداد- كتاب اللغات- كتاب أصول الكلام- كتاب الاشتقاق- كتاب الأراجيز- كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه- كتاب المقصور والممدود- كتاب الفَرق- كتاب الميسر والقداح- كتاب الإبل- كتاب فعل وأفعل- كتاب الألفاظ- كتاب مياه العرب- كتاب القلب والإبدال- كتاب معاني الشعر- كتاب النخلة- كتاب غريب الحديث- كتاب نوادر الأعراب، وأضاف ابن النديم لهذه المؤلفات: «كتاب الخراج- كتاب السرج واللجام والبرى والعقال- كتاب أسماء الخمر- كتاب المذكر والمؤنث- كتاب الأصوات- كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي- كتاب النسب- كتاب ما تكلّم به

(١) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنّديم: الفهرست، حققه: يوسف علي طويل ووضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٢، ص ٨٦-٨٧.

العرب فكثر في أفواه الناس»[١].

٢- موضوع الكتاب:

إنّ الفكرة العامة لهذا اللون من التأليف سواء أكان كتاب الفَرق للأصمعي أو غيره من كتب الفَرق الأخرى فهي تقوم بالأساس على ذكر تسمية عضو من أعضاء جسم الإنسان أو صفته، ثمّ ذكر ما يقابله من أعضاء البهائم والطيور والسّباع.

«إذًا فموضوع الفَرق هو تباين واختلاف المسميات التي تخص أعضاء الجسم البشري وأسماء الأولاد والجماعات وأصواتها بين الإنسان والحيوان، وهو من الموضوعات المهمة التي طالما لفتت أنظار اللغويين القدامى وفتحت لهم شهية التأليف فيها»[٢]، فميدان تحديد اختلاف مسمّيات أعضاء وأجزاء من بدن الإنسان وصفاته بينه وبين مختلف الحيوانات والبهائم نال من لدن علماء العربية قديمًا عناية بالغة منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، فأقدموا على التأليف في هذا النوع باسم الفَرق تارة وباسم ما خالف فيه الإنسان البهيمة تارة ومرة أخرى[٣]، وهذا النمط من المعاجم دوّن فيه مؤلفوه ألفاظًا ومفردات

(١) ابن النديم: الفهرست ص٨٧.

(٢) أبو حاتم السجستاني: كتاب الفَرق، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع والثلاثون، الجزء الأول، ١٩٨٦م، ص٢٠٦.

(٣) ينظر: الأصمعي: رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء، تحقيق: صبيح التميمي، مكتبة =

تكنى بها أعضاء مشتركة لطائفة من الحيوانات ذات الخصال والصفات الواحدة مثل ذات الأظلاف (الماعز، النعاج، الضأن) وذات الحافر مثل (الحصان، الفرس، الحمار) والسباع مثل (الأسد، الذئب، الكلب)، ويكون لكل عضو منها عند الحيوان الذي يحمله اسم خاص يفرقه عن مثله لدى الحيوانات والبهائم الأخرى، كما أوعوا فيه أيضًا أسماء صغار الحيوان وأسماء أصواته والجماعات التي ينضوي تحت لوائها ويسير في مواكبها[1]، ولا تقف هذه الكتب عند ذكر أعضاء جسم الإنسان ووظائفه؛ بل تبحث حتى في حركات وتنقلات الكائن الحي، ففي باب الجلوس مثلًا: يقال للإنسان **جلس**، وللفرس والحمار **ربض**، وللبعير **برك**، وللطائر **جثم**...[2] ، وتبحث كتب الفَرق أيضًا في أصواته وصيحاته، فيقال: للفرس **صهل وحمحم**، ويقال للحمار **نهق** و**شحج**، ويقال للبعير **رغا**، **وجرجر**، **وهدر** (إذا هاج)، ويقال للناقة إذا مدّت صوتها في إثر ولدها **حنّت تحن حنينًا**، فيلاحظ بذلك أنّه يفرق بين الأصوات حتى للحيوان الواحد حين هدوئه، وحين هيجانه، وحين طلب الأم لولدها، ويسترسل في ذكر الأصوات فيقال للشاة **ثغاء**، وللبقر

=

الثقافة الدينية، ط٢، ١٩٩٢، ص٠٥.

(١) ينظر: أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ط٢، ١٩٩٣م، ص١١٢.

(٢) ينظر: الأصمعي: رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء، ص٧٧.

خوار، وللطير **صرصرة**، وللغراب **نعيق**[١].

كما تبحث هذه الكتب أيضًا في مكان إقامته وتجمعاته، فيقال: **جماعة** من الناس، و**قطيع** من البقر والغنم، ويقال: **ذود** من الإبل لما بين الثلاثة إلى العشرة، و**هجمة** لما دون المائة[٢] . وتدقق وتنظر كتب الفَرق وتفصل تفصيلا فتصف وتسمي ما يطرحه الكائن الحي من عرق ولعاب وفضلات، إذ يقال: **عرق** الإنسان عرقًا، وهو **النجد** أيضًا **والصّواح** من ذي الحافر، ويقال له **الحميم**، ويقال **عصيم** العرق وهو أثره إذا جفّ.

ثمّ البصاق: وهو **البزاق والبساق والبصاق**، وهو **اللّعاب**، وهو **المرغ واللّغام** من ذي الخفّ[٣]، كما تذكر ويذكر كتاب الفَرق للأصمعي حالاته في إرادة التكاثر (النكاح)، والحمل، الوضع، وأسماء الأولاد، والفَرق بين مذكرها ومؤنثها. فيقال: **جامع** الرجل امرأته وقد **غشي** امرأته و**وطئها**، ويقال للنكاح: **البعال**، ويقال للفرس: **كامنها كومًا**، ويقال للتيس: **تسفد سِفادًا**، ويقال للكلب: **عاظل معاظلة**، ولكل ذي فحل: **ينزو نُزُوًّا**، وللطير: **قمط قمطًا**، وللجمل: **ضرب ضرابًا**، و**قاع قياعًا**. أمّا الحمل: فيقال **حملت** المرأة، و**حبلت**، ويقال للكلبة: **محَجُّ** وكذلك السباع كلّها، ويقال: **أَمْكنتِ** الضبّة والجرادة إذا اجتمع البيض

(١) ينظر: المصدر نفسه ص من ٩٨ إلى ١٠١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٩٥-٩٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص١٢٢.

في بطنها، أمّا بالنسبة للوضع والولادة فلكلٍّ كنية خاصة به فيقال: **ولدت** المرأة و**وضعت**، و**نفست** المرأة، والناقة **نتجت**، و**الخداجُ** في الشاة[١]، ثم بعد الحمل تضع الأمهات أولادًا لكلّ منها اسمه الخاص به، فيقال له من الإنسان: الغلام والجارية، ويقال لولد الدّابة: المهر والأنثى مُهرة، ويقال لولد الحمار: الجحش والأنثى جحشة، والفَلُوُّ ولد الفرس إذا فطم، ويقال لولد الشاة: السخلة للذكر والأنثى، ويقال للذّكر من المعز: الجدي وللأنثى عَنَاق، ويقال لولد الناقة: الحُوارُ والأنثى حُوارَة[٢]، كما نجد أنّ كتب الفَرق قد أتت على أسماء الجماعات من جميع الأجناس، وحالات الهرم التي تقاس بانتهاء السّن ثم الموت، فيقال: جمل بازلٌ إذا فَطَر نابه وكذلك الناقة بازلٌ، وفرس قارح، وشاة وبقرة صالغٌ[٣].

من هذا يمكن القول أن موضوعات كتاب الفَرق قد تفرّعت وتنوّعت واختلفت اختلاف المسميات بين البهائم نفسها وبين البهائم والإنسان، واتسمت بالتفصيل الدقيق لكل عضو ولكل صفة وسمة مما أعطانا صورة واضحة عن الثروة اللفظية الكبيرة التي احتفظت بها عربيتنا الفصحى فحافظت بذلك على إحساس وتقدير الإنسان العربي الأول بأنّ العضو الواحد وإن خُلق لوظيفة معينة تكاد تكون متشابهة بين

(١) ينظر: الأصمعي: رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء ص من ٨٣ إلى ٨٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٩٠-٩١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص١١٠.

بني البشر والحيوان فإنّ شكله المختلف، وتكوينه المتباين عند كلّ نوع من هذه الأنواع قد أوجد المبرر الكافي للإنسان العربي أن يخالف التسمية باختلاف شكل المسميات وصفاتها فيجعل القدم للإنسان في مقابل الخف للبعير، والحافر للفرس والحمار، والظلف للشاء والبقر والظباء... وغير ذلك من الأسماء(١).

٣- خصائص ومميزات الكتاب:

١) من الظواهر البارزة في الكتاب إشارته إلى لغات القبائل العربية، قال الأصمعي: «يقال: فَمُ الإنسان وفيه ثلاث لغات: فَمُ، وفُمّ، وفِمٌ»(٢).

٢) إيضاح المعاني بإيراد مجموعة من الشواهد المتنوعة (أشعار، أرجاز، آيات قرآنية، أحاديث نبوية، أمثال وأقوال)، وشرح ما يرد فيها من غامض ومبهم، مثل: «قال الراجز: يفتح للضّغم فمًا لهمّا؛ أي واسعًا. وكمثال على الشواهد الشعرية، قال حميد بن ثور يصف حمامة:

عجبت لها أنّى يكون غناؤها فصيحًا ولم تفغر بمنطقها فما»(٣)

(١) ينظر: أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب: كتاب الفَرق في اللغة، حققه: خليل إبراهيم العطية، وراجعه: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية (د.ط.ت)، ص٠٦.

(٢) الأصمعي، رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء، ص٥٥.

(٣) المصدر نفسه ص٥٥.

«قال أبو دؤادٍ:

فبِتْنـــا عُـــراةً لـــدى مُهرنـــا نُنَـــزِّعُ مِـــن شـــفتيه الصَّـــفارا

قال أبو جعفر: الصّفارُ يبيس البهمى، وهو شبيه بالسُّنبل، وهو كالإبر إذا علق بشيء نشب فيه»[(١)]. ومن القرآن الكريم: «يقال ولدت المرأة ووضعت، قال الله جلّ ثناؤه: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)»[(٢)] . ومن الحديث: «يقال للنكاح: البعال ومنه الحديث في أيام التشريق: (أنها أيام أكل وشرب وبعالٍ)»[(٣)] . ومن الأمثال والأقوال: «العقرب تصئي، ويقال في مثلٍ: العقرب تلدغ وتصئي مثل هو يضرب ويبكي»[(٤)]. «ويقال لولد القرد: القِشّة، ويقال للصبي إذا عُرف بالكيس: هو أكيس من قِشّة على وجه الأرض»[(٥)]. وقد جاءت أكثر شواهده من الشعر حيث استشهد بحوالي ٧٤ بيتًا من الشعر، و١٣ مثلًا، وثلاث آيات قرآنية، وحديثين شريفين.

٣) نهج في الأقسام الأولى من الكتاب على الابتداء بذكر الأسماء ثم الأفعال من باب الفم وحتى باب المخاط، ونوّع في الأقسام الأخيرة من

(١) المصدر نفسه ص ٥٨-٥٩.

(٢) المصدر نفسه ص٨٨.

(٣) المصدر نفسه ص٨٤.

(٤) المصدر نفسه ص١٠٦.

(٥) المصدر نفسه ص٩٤.

باب الجلوس إلى الباب الأخير بين الأسماء والأفعال فتارة يبدأ بالفعل وتارة بالاسم، وراعى في الأسماء أن يبين المفرد منها والجمع، بل ويذكر في بعض الأحيان جموع القلة والمثنى منها، قال في باب الظفر: «ظفر الإنسان، وجمعه أظفار، وأظفور، وجمعه أظافير»[١]، وقال في باب الشفة: «يقال لهما من البعير: المِشفران والواحد مشفر، والجميع المشافر»[٢]. وأبان في الأفعال عن صيغ الماضي والمضارع والمصدر، قال: «ربض الفرس والحمار يربض ربوضًا، وكل ذي حافر، وبرك البعير يبرك بروكًا، وجثم الطائر يجثم جثومًا»[٣].

٤) أشار إلى المذكر والمؤنث في الألفاظ التي أوردها ضمن الأبواب، وليس الذّكر كالأنثى قال في باب الغلمة: «رجل مغتلمٌ، وامرأة مغتلمة، ورجل شَبِقٌ وامرأة شَبِقَة وقَطم البعير يقطم قطمًا، وهاج يهيج هياجًا وهيجًا، ويقال للناقة ضبعت تضبع ضبعًا، وضبعة»[٤].

٥) اعتناؤه بضبط الألفاظ وشكلها، وإشارته إلى المهموز منها والممدود، إذ قال في باب الشفة: «فهي من الإنسان الشفة (مفتوحة)، ويقال له من ذوات الأظلاف: المِقَمَّة، والمِرَمَّة، المَقَمَّة والمَرَمَّة. قال

(١) المصدر نفسه ص٦١.

(٢) الأصمعي: رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء ص٥٧.

(٣) المصدر نفسه ص٧٧.

(٤) المصدر نفسه ص٨٢.

الباهلي: وسألت الأصمعي فأبى إلاّ الكسر، والفتح عن غير الأصمعي»[١]. وقال في الثدي: «وهو الثدي (مفتوح)، وجمعه ثُدِيٌّ، والثندوؤة (مهموزة وغير مهموزة): مَغْرِزُ الثدي»[٢].

٦) التفت في بعض الأحيان إلى مسائل لغوية ونحوية وصرفية قدّم فيها بعض الشروح والإيضاحات التي بلا امتراء ستفيد القارئ بمعلومات ما ظنّ يومًا أنّ كتابًا مثل هذا يحويها، وكمثال لبعض هذه المسائل ما جاء في باب الفم من مسألة نحوية ولغوية إذْ قال: «هذا فم زيدٍ، وهذا فو زيدٍ، ورأيت فا زيدٍ، ووضعت الشيء في فيِّ زيدٍ، إذا أضفت لم تبال أيّهما جئت به، فإذا لم تضف وأفردت لم يكن إلاّ فمٌ، نحو قولك: رأيت لك فمًا حسنًا، ولا تقل: فا حسنًا، وهذا فيّ لا فوك فمًا حسنًا إلاّ أنه قد جاء في الشعر، وليس كلّ ما يجوز في الشعر يجوز في الكلام؛ لأنّ الشعر موضع اضطرار. قال العجاج: خَالَط من سلمى خياشيم وفَا»[٣]. وهناك مسألة صرفية في باب أسماء جماعات الأشياء، حيث قال: «... وهُنَيْدَة: المائة لا تنصرف لأنّها معرفة»[٤].

٧) عرّف بعض الألفاظ بما ترادفها من أسماء وهذا فيه اهتمام

(١) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٧-٦٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٥٥-٥٦.

(٤) المصدر نفسه ص٩٦.

بظاهرة الترادف وما لها من أهمية في بلوغ المراد باللفظ. والأمثلة على الترادف كثيرة نورد منها ما يلي: «يقال له من السّباع: الخَطَم والخُرطوم، ويقال نقره بمنقاره، ونسره بمنسره نسرًا وهما واحد»[(١)]. ويقال للضائنة في باب الأصوات: «قد جَأرت، وثَأجت، وخَارت»[(٢)].

٤- القيمة العلمية للكتاب:

تكمن قيمة وأهمية الكتاب في رصده لثروة لفظية متميزة ما كان ليكون لنا بها قِبل لولا جهد الأصمعي وتفانيه وصرف عنايته في جمع هذه الثروة المتناثرة بين أفواه الأعراب وألسنتهم، وضمِّها بين دفتي كتاب ليبقى حارسًا ومصونًا لهذه الثروة اللفظية رغم انقضاء عشرات القرون على نسخ هذه الألفاظ ضمن هذا الكتاب، فرصد لنا بذلك اختلاف مسمّيات العضو الواحد ذو الاستخدام الواحد نتيجة وجوده في الإنسان أو في الحيوان أو في الطيور وغيرها.

والكتاب يحمل بين طيّاته مادة لغوية جديرة بالعناية والاهتمام فهي تمثل جزءًا من مخزون لغوي اشتهر به الأصمعي، وما يزيد الاجتذاب وقابلية الدراسة والبحث لهذه المادة اللغوية هو دورانها في حقل معين وثابت يسمى حقل الفَرق ممّا يسهل عملية الدراسة كون الألفاظ تجري

(١) الأصمعي: رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء ص٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص٩٩.

في علاقات مترابطة يساهم اللفظ أو الجزء الواحد في فهم وإدراك مجموعة الألفاظ الأخرى، وبلوغ أمد المراد بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد بحيث لا مزيد على الحاجة ولا إخلال يفضي إلى الفاقة. كما يشكل الحقل والزمكان[1] حدودا لهذه الدراسة فلا يجعلها تخرج عن مرتادها ومرادها ولا تتفرع إلى أمور أخرى تنقص من أهمية وقيمة الدراسة.

بالإضافة إلى هذا يمثل الكتاب نموذجًا رائدا في منهج هذا اللون من التأليف خاصة بعد فقدان أغلب ما ألف فيه، إذ أنه من أصل أربعة عشر كتابًا في الفَرق لم يصل إلينا إلاّ خمسة كتب متمثلة في كتاب الأصمعي وابن فارس وقطرب والسجستاني وابن ثابت[2]. وهذا لا يعني أن معاجم الموضوعات أو معاجم الألفاظ قد غضّت الطرف عن هذا الجانب - الفَرق - ولم تعره اهتمامها، بل إن موضوعات الفَرق موجودة ضمن هذه المعاجم لكنها متفرقة ومبعثرة إمّا تحت أبواب وموضوعات أكبر وأشمل، أو تحت جذورها اللغوية إلاّ أن فضلَ ومزية كتب الفَرق هو أنها جمعتها وحصرتها في أبواب محددة وأجلت دلالاتها

(١) المادة اللغوية في هذا الكتاب تمثل الألفاظ التي قيلت زمن ومكان الاحتجاج أي إلى غاية القرن الثاني للهجرة بالنسبة للحواضر والمدن، وإلى غاية القرن الرابع الهجري بالنسبة للبوادي وسط شبه الجزيرة العربية، وهذا الاستنباط مردّه إلى أن الأصمعي كان لا يحتج إلا بالنصوص الموثوقة.

(٢) ينظر: الأصمعي، رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء، ص٣٣.

بشكل يسهل معرفتها، ومن هذه الكتب كتاب الفَرق للأصمعي الذي يمثل حلقة رائدة في هذا الميدان وفق منهجية دقيقة ومحكمة أساسها التأليف ضمن حقول معرفية ودلالية معينة[١]. كما أنّ هذا الكتاب وكتب الفَرق الأخرى كانت هي النّواة لأصحاب المعاجم الموضوعية منها انطلقوا وبها جمعوا وحرروا كتبهم ومصنفاتهم، وإليها يعود الفضل كلّه في بروز هذا النمط من المعاجم التي هي عبارة عن مجموعة من الرسائل اللغوية جُمعت ضمن كتاب واحد فكان كتاب المخصص لابن سيده، وفقه اللغة للثعالبي، والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم وغيرهم.

٥- تراث الفَرق في العربية:

لقد زخر التراث العربي بمصنفات وكتب أُلفت في موضوع الفرق، حيث لم ينفرد الأصمعي بهذا النوع من التأليف، بل كان لمعاصريه أومن جاء بعده مشاركة في هذا اللون، وقد أحصى الدكتور رمضان عبد التواب العلماء الذين ألفوا في الفرق وهم[٢]:

١) «أبو زياد الكلابي واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر، أعرابي بدوي، قال دعبل: قدم أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة ونزل

(١) ينظر: المصدر السابق ص٠٦.

(٢) ينظر: ابن فارس: كتاب الفرق، حققه وقدم له وعلّق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط١، ١٩٨٢م، ص ٤٠-٤٣.

قطيعة العباس بن محمد وأقام بها أربعين سنة وبها مات. وكان شاعرا من بني عامر بن كلاب وله من الكتب؛ كتاب النوادر، كتاب الفرق، كتاب الإبل، كتاب خلق الإنسان»[١] .

٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩ هـ): «قال الشيخ أبو سعيد رحمه الله: ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش لا تيم الرباب وهو مولى لهم....، وله من الكتب؛ كتاب مجاز القرآن، كتاب غريب القرآن...، كتاب الفرق، كتاب الخسف»[٢].

٣) «أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس (ت٢١٥هـ): من صليبة الخزرج. قال العباس المبرد: كان زيد عالما بالنحو ولم يكن مثل الخليل وسيبويه...، وله من الكتب؛ كتاب إيمان عثمان، كتاب حيلة ومحالة، كتاب الهوش والنوش... كتاب الفرق، كتاب فعلت وأفعلت»[٣].

٤) «ابن السكيت يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ): كان أبو العباس ثعلب يقول: كان يعقوب ابن السكيت متصرفا في أنواع العلم وكان من أصحاب الكسائي، حسن المعرفة بالعربية...، وله من الكتب؛ كتاب

(١) ابن النديم: الفهرست ص٥٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٨-٥٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠.

الألفاظ، كتاب المنطق...، كتاب الفرق، كتاب السرج واللجام»[١].

٥) «أبو بكر الجعد محمد بن عثمان (ت٣٢٠هـ)، صاحب ابن كيسان وخلط المذهبين. وله من الكتب؛ كتاب القراءات، كتاب معاني القرآن، كتاب المقصور والممدود، كتاب الهجاء، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب مختصر نحو، كتاب العروض، كتاب خلق الإنسان، كتاب الفرق، كتاب الألفات.»[٢].

٦) «أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحق الأعرابي الوشاء (ت٣٢٥هـ). أحد الأدباء الظرفاء وكان نحويا معلما لمكتب العامة والغالب على تصنيفه كتاب الأخبار والشعر والمقطعات. وله من الكتب؛ كتاب مختصر في النحو، كتاب جامع النحو، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان...»[٣].

٧) «أبو الجود العجلاني القاسم بن محمد بن رمضان نحوي قريب العهد من البصريين، وله من الكتب؛ كتاب المختصر للمتعلمين، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الفرق.»[٤].

---

(١) المصدر نفسه ص٧٩.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٩٠.

(٣) المصدر نفسه ص٩٣.

(٤) المصدر نفسه ص٩٢.

٨) «أبو الفضل محمد بن أبي غسان البكري، له من الكتب؛ كتاب مختصر في النحو، كتاب الفرق»[١].

وجميع هذه الكتب مفقودة ولم يصل إلينا منها أيّ كتاب، إنّما جاء ذكرها في كتب التراجم والطبقات دون أن نعرف محتواها أو نلقي نظرة على كُنهها فهي في باب الضياع حتى يعثر لها على أثر. أمّا كتب الفرق التي حظيت بالوصول إلينا فمجموعها خمسة كتب منها كتاب الأصمعي الذي هو مجال دراستنا، والكتب الأخرى هي على التوالي:

أ- كتاب الفرق لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت٢٠٦هـ): «وهو أول كتاب يصل إلينا في موضوع الفرق بين الإنسان والحيوان والطير، وقد نشر الكتاب أول ما نشر في مجلة SBWA في فيينا سنة ١٨٨٨م مختصرًا بعناية الدكتور المستشرق رودلف جاير R.Geyer، ثم نشر الكتاب مطبوعًا ومحققًا من طرف الأستاذ الدكتور خليل إبراهيم العطية، ووكِّل أمر مراجعته والإشراف على طبعه وتصحيح تجاربه الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب»[٢]، «وروى الكتاب عن قطرب أبو عبد الله محمد بن الجهم السمّري (ت٢٧٧هـ) تلميذ قطرب والفرّاء (ت٢٠٧هـ)»[٣].

(١) المصدر نفسه ص٩٤.

(٢) قطرب: كتاب الفرق، ص٠٧.

(٣) المصدر نفسه ص٢٩.

قسّم قطرب كتابه إلى ستة أبواب أو موضوعات أتى في كلّ منها على عضو من أعضاء الجسم أو صفة من صفات الكائن الحي أو شأنٍ من شؤونه جاعلًا منها مدار حديثه مبتدئًا بالإنسان ثم ما يقابله عند الحيوان والطير والسّباع...، وأقسام الكتاب هي:

١- **أقسام الخلق**: عالج فيه أبواب الفم والأنف والظفر والصّدر والثدي... إلى جانب أبواب أخرى تتعلق بالمخاط واللعاب والغائط وما يماثلها كقضاء الحاجة.

٢- **الولادة بعد الحمل وتسمية المواليد**: وتكلم فيه عن الولادة بعد الحمل عند المرأة، وعند ذوات البرثن، وذوات الأخفاف، وأخفاش الأرض والطير.

٣- **أصوات الإنسان والبهائم والطير**: تناول فيه الأصوات عند الإنسان، وما يقابله عند ذوات الظلف والحافر والخف، وذوات البرثن والجناح.

٤- **زجر الإنسان والبهائم والطير**: جاء فيه ما تعلق بالحثّ للإنسان وزجره لذوات الخف والحافر والطير والسّباع والأغنام وما ماثلها من ذوات الأظلاف.

٥- **الجماعة من الناس والبهائم**: وخصّ به جماعة بني البشر والبهائم من ذوات الحافر والخفّ والظلف والبرثن والجناح، وهي جاثية مجتمعة.

٦- **الموت من الإنسان والبهائم**: واهتم فيه بالموت وأسمائه عند البشر، وما يقابله عند الحيوانات، ويعدّ هذا القسم من أصغر الأقسام مقارنة بالأقسام الأخرى للكتاب، واستدرك آخر الكتاب بملحق ذكر فيه جملة ممّا فاته مثل: الأُسروع، وطحن، والقنفذ، والشقذ، والشبث، والسرفة، وحمار قبّان...، وكلها دواب صغيرة.

ولم يخل الكتاب من شواهد شعرية جمّة طفت على سطح الغموض وأبانت عن الكلام الغريب والوحشي وأوضحته إيضاحًا، خاصة أنّ معظم الأشعار منسوبة إلى الرعيل الأول من علماء العربية والأعراب الفصحاء(١)، وراعى قطرب في الألفاظ التي تمخضت عن مواده اللغوية أن ينبه على المذكر منها والمؤنث، وعلى جمع المفرد مذكرًا كان أو مؤنثا، وعلى ما يرد فيه من لغات ولهجات القبائل العربية، والتفت في بعض الأحيان إلى اشتقاقات الفعل فكان يذكر الماضي منه والمضارع والمصدر، وأتى ببعض المترادفات في أحيان أخرى(٢).

ب- كتاب الفرق لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت المتوفى في أواسط القرن الثالث الهجري:

وهو أحد كتب التراث اللغوي المهمة، ذكره كل من ابن النديم في

(١) ينظر: قطرب: كتاب الفرق، ص ٢٨-٢٩.

(٢) ينظر: حسين نصّار: معاجم على الموضوعات، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م، ص١١٩.

الفهرست وابن خير الإشبيلي في فهرسته وياقوت الحموي في معجم الأدباء...، والكتاب نشره محمد الفاسي في الرباط سنة ١٩٧٣م عن نسخة ناقصة، ثم أعاد تحقيقه الدكتور حاتم صالح الضامن على نسختين سنة ١٩٨٤م. بدأ ثابت كتابه بمقدمة قال فيها: «هذا كتاب ما خالف فيه تسمية جوارح الإنسان تسمية جوارح ذوات الأربع من البهائم والسّباع وغير ذلك وما وافق عن الأصمعي وابن الأعرابي وأبي عبيد وأبي نضر وغيرهم من العلماء»(١).

قسّم ثابت كتابه إلى ٢٨ بابًا وهي: باب الفم – الشفة- الأنف – الظفر –الصدر –الثدي – الرجل – فرج الرجل – فرج المرأة – الدبر – قضاء الحاجة – الغائط وموضع الخلاء – خروج الريح من الإنسان وغيره – ما يسيل من أنف الإنسان وغيره – باب الشهوة من الرجل وغيره – النكاح – الحمل – سقوط الولد لغير تمام – الولادة – ما يخلف في الرحم فيخرج مع الولد – نعوت النساء والبهائم مع أولادهن – باب الذكر والأنثى – أسماء الأولاد – العرق – اللعاب – الجلوس – الموت – نعوت الناس في السرعة والعدو واختلافه(٢).

ج- كتاب الفرق لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ): نشره الدكتور

(١) ثابت بن أبي ثابت: كتاب الفرق، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨م، ص١٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٨-٩.

حاتم صالح الضامن بعد تحقيقه في مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد سنة ١٩٨٦م، وقد قسّم السجستاني كتابه إلى ٢٨ بابًا على نفس منوال كتاب الأصمعي ودون أيّ تغيير مما يبعث الشك في نسبة هذا الكتاب إلى أبي حاتم السجستاني، وقد أورد المحقق جملة من النقاط والملاحظات التي ترجح نسبة هذا الكتاب إلى السجستاني[١]، والكتاب بِغضّ النظر عن مؤلفه يزخر بشواهد مختلفة ومتنوعة أكثرها من الشعر والأرجاز وأدناها من الأمثال والحديث والقرآن. وأهميته تكمن في أنّه أحد الكتب التي وصلت إلينا والتي تحمل ثروة لغوية مهمة، كما أنه يحمل كمًّا من الشواهد والأشعار الفريدة من نوعها والتي انعدم وجودها في الكتب الأخرى[٢].

د- كتاب الفرق لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي (ت٣٩٥هـ):

ذُكر هذا الكتاب في طبقات ابن شهبة ١/ ٢٣١، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٧٩، كما ذكره ابن فارس في كتابه (تمام فصيح الكلام ١٥/ ٣٥) قال فيه: (فأما الفرق فقد كنت ألفت على اختصاري له كتابًا جامعًا، وقد شهر وبالله التوفيق). وقد قسم ابن فارس كتابه إلى ٥٠ بابًا بدأها بخلق الإنسان وغيره من الحيوان والطير، وذكر فيه بعد حديثه عن الشفة

(١) ينظر: أبو حاتم السجستاني: كتاب الفَرق، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ص ٢١٠-٢١٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص٢١٤.

الشعر في كثرته وقلته، والوجنة، والعين، والأنف، والفم، والأسنان، وغيرها من الأعضاء. ثم يذكر ابن فارس أبوابا في قعود الإنسان وجلوسه، ومواضع الوحش وغيره، والعرق والمخاط، ثم يخصص للشهوة أبوابًا، وكذا الحمل والولادة، والنفاس، والبيض، وفراخ الطير، والرّضاعة، وتدرّج العمر في الإنسان والخيل والناقة والشاة، وكبر السّن في الإنسان وغيره، ثم يعقد أبوابًا أخرى في ذكور الحيوان وإناثه وكذلك الطير وأنثاه.

وينهي الكتاب بذكر السمن والهزال، وأسماء الجماعات، والموت، وأنواع القوافل، وفروق الآجام[1].

في الأخير يمكن القول أنّ كتاب الفرق لابن فارس قد كان أكبر كتب الفرق الأخرى في الإحاطة والشمول بنواحي الموضوع من كل جانب وتخصيص أكبر عدد من الأبواب له، لكن ما طبع كتابه هو ندرة الشواهد الشعرية والأمثال فيه، وانعدام استشهاده بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

(١) ينظر: ابن فارس: كتاب الفرق، ص ٣٩-٤٠.

الخاتمة:

– موضوعات كتب الفَرق قد تفرّعت وتنوّعت واختلفت اختلاف المسميات بين البهائم نفسها وبين البهائم والإنسان.

– اتسمت كتب الفرق بالتفصيل الدقيق لكل عضو ولكل صفة وسمة مما أعطانا صورة واضحة عن الثروة اللفظية الكبيرة التي احتفظت بها عربيتنا الفصحى.

– يمثل الكتاب الفرق للأصمعي نموذجًا رائدا في منهج هذا اللون من التأليف خاصة بعد فقدان أغلب ما ألف فيه، إذ أنه من أصل أربعة عشر كتابًا في الفَرق لم يصل إلينا إلاّ خمسة كتب متمثلة في كتاب الأصمعي وابن فارس وقطرب والسجستاني وابن ثابت.

– هذا النمط من التأليف دوّن فيه مؤلفوه ألفاظًا ومفردات تكنى بها أعضاء مشتركة لطائفة من الحيوانات ذات الخصال والصفات الواحدة مثل ذات الأظلاف، وذات الحافر، والسباع وغيرها.

ثبت المصادر

١- أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ط٢، ١٩٩٣م.

٢- الأصمعي: رسالتان في اللغة الفَرق والشّاء، تحقيق: صبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ١٩٩٢.

٣- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، قام بتحقيقه: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.

٤- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢ (د.ت).

٥- ثابت بن أبي ثابت: كتاب الفرق، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨م.

٦- أبو حاتم السجستاني: كتاب الفَرق، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع والثلاثون، الجزء الأول، ١٩٨٦م.

٧- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٩م.ج٢.

٨- حسين نصّار: معاجم على الموضوعات، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م.

٩- رحاب عكاوي: الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة، دار الفكر العربي بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

١٠- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة، ط٥ (د.ت).

١١- أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب: كتاب الفَرق في اللغة، حققه: خليل إبراهيم العطية، وراجعه: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية (د.ط.ت).

١٢- ابن فارس: كتاب الفرق، حققه وقدم له وعلّق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط١، ١٩٨٢م.

١٣- أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنّديم: الفهرست، حققه: يوسف علي طويل ووضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٢.

١٤- ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف القاهرة ط٤ (د.ت).

١٥- الوزير جمال الدّين أبو الحسن علي بن يوسف القِفْطيّ: إنباه الرّواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط١، ١٩٨٦م.